

الحرب في السودان تدمر تاريخه الغني

كتبه ميدل إيست آي | 3 يوليو ,2024



ترجمة وتحرير: نون بوست

تفاجأ عشاق التراث السوداني عندما ظهرت صور لقوات الدعم السريع أمام الآثار الشهيرة لملكة كوش القديمة، في جزيرة مروي، خلال كانون الأول/ ديسمبر الماضي.

ويقع الجمع الأثري، المدرج ضمن مواقع التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، في أرض شبه صحراوية تمتد بين نهري النيل ونهر عطبرة في ولاية نهر النيل الشمالية. وكان هذا الموقع موطنًا لملكة قوية كانت موجودة بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي، والتي امتدت إمبراطوريتها في أوجها من البحر الأبيض المتوسط □ إلى قلب أفريقيا.

وتتكون النطقة من الدينة اللكية للكوش في مروي، على ضفاف النيل، والراكز الدينية في النقعة والمورات الصفراء، وتشتهر بأهراماتها ومعابدها ومبانيها المحلية، التي شكل بعضها خلفية لقطات دعائية لقوات الدعم السريع.

ولم تكن الصور من جزيرة مروي أول ما أطلق صافرات الإنذار. ففي حزيران/ يونيو؛ بعد شهرين من اندلاع الحرب بين الجيش وقوات الـدعم السريع، أثار مقطع فيـديو آخـر يظهـر مقـاتلين شبـه عسكريين ضجة؛ حيث كان المقاتلون قد داهموا مختبرًا في المتحف الوطني في الخرطوم، الذي يمكن القول إنه أهم متحف في السودان، وزعموا في ذلك الوقت أن الجثث والمومياوات القديمة كانت في



ويضم المتحف – الذي تم إنشاؤه في مطلع السبعينات – أكبر مجموعة أثرية في البلاد، بما في ذلك بعض أقدم الومياوات الحنطة في العالم، ويقع في قلب عاصمة البلاد، وهي المنطقة التي تضررت بشدة من القتال.

وصورت المشاهد في مروي والمتحف الوطني هشاشة التراث الثقافي والتاريخي للسودان وسط حرب أهلية شرسة تسببت في دمار واسع النطاق، وأثارت أعمال تخريب ونهب واسعة النطاق.

وقالت تومومي فوشيا، عالمة الآثار التي تتمتع بخبرة واسعة في السودان، والتي تركز حاليًّا على محاولة تتبع ما تم فقدانه، إنه "من الصعب تقدير حجم الضرر"، مضيفة: "أعتقد أن معظم التراث، بما في ذلك المتاحف والسارح والأرشيف، تعرض للضرر بطريقة أو بأخرى".

مركز الكارثة

يُعد رسم خرائط التراث الثقافي والتاريخي الغني للسودان، وتقييم الأضرار التي لحقت به منذ بداية الحرب؛ مهمة شاقة، وفقًا لخبراء في هذا للجال.

وتدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف وحدها، وهي الهيئة السؤولة عن إدارة الآثار والواقع الأثرية في السودان، 15 متحفًا، بما في ذلك ثلاثة في الخرطوم، وثلاثة في دارفور، وواحد في كل من شمال كردفان والجزيرة، وقد تعرضت كل هذه الناطق لدمار كبير بسبب القتال.

وقال عجد بشير، عضو قسم الآثار بجامعة الخرطوم، إنه "لا يمكننا فصل التراث القديم عن بقية الخرطوم: البنية التحتية والباني المدنية والوحدات الحكومية والجامعات والستشفيات؛ لقد تم تدميرها كلها".

واستخدم مختبر رصد التراث الثقافي، ومقره الولايات المتحدة، صور الأقمار الصناعية للكشف عن علامـات الأضرار الناجمـة عـن الحرائـق في الهياكـل الواقيـة المحيطـة بمعبـدين داخـل حديقـة مجمـع المتحف الوطني، مما يشير على الأقل إلى بعض الأضرار الطفيفة التي سببتها القذائف.

وقد وثقت منظمة التراث من أجل السلام – وهي منظمة دولية غير ربحية أنتجت التقارير الأكثر تفصيلاً عن الوضع الحالي للتراث في السودان – أيضًا وجود قناصة على سطح المتحف، مما يشير إلى أنه تم استخدامه لأغراض عسكرية. ومع ذلك، قالت ستة مصادر استشارها موقع "ميدل إيست آي" إن حالة العناصر داخل المتحف لا تزال مجهولة لأن الموظفين، بما في ذلك الأمن، فروا من مقر المتحف.

وتبرز صورة أكثر قتامة من مجمع القصر الجمهوري، رمز سيادة السودان والرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفترة التي بزغ فيها فجر استقلاله؛ والذي شهد العديد من الأحداث التاريخية مثل قمة الجامعة



العربيّة سنة 1967، التي اعتمدت إعلان الخرطوم الذي تعهد بعدم المصالحة والاعتراف والتفاوض مع إسرائيل بعد نكسة 1967.

ويضم الموقع متحفًا يقع في كاتدرائية أنجليكانية سابقة يعود تاريخها إلى أوائل القرن العشرين، ويحتوي على آثار مهمة من تاريخ السودان الحديث، مثل المركبات الرئاسية واللوحات والهدايا، كما يضم مكتبة بها أرشيفات ووثائق رسمية.

وقد تعرضت بعض مباني المجمع – بما في ذلك المتحف – لأضرار جسيمة، بما في ذلك جدرانها وأسطحها ومداخلها ونوافذها نتيجة لتأثير القذائف والرصاص والنيران، وفقًا لأحدث تقرير صادر عن منظمة التراث من أجل السلام.

وكشف تقرير بثته قناة "الحدث" التلفزيونية الإماراتية في أواخر شهر كانون الثاني/ يناير، وتم تصويره من داخل المجمع، عن دمار واسع النطاق في مجمع القصر.



لوحة جدارية قديمة معروضة في متحف السودان الوطني في الخرطوم سنة 2020

وبحسب ما ورد؛ تعرض القصر الجمهوري القديم مرة أخرى في منتصف شهر أيار/ مايو لضربة عسكرية، وفقًا للصور التي تم <u>تداولها على وسائل التواصل الاجتماعي</u> والتي تظهر تعرضه لأضرار كبيرة.

وفي مكان ليس ببعيد عنه، في الحي التاريخي في أم درمان، يقع بيت خليفة الشهير، وهو متحف إثنوغرافي بُنِيَ في موقع كان في السابق القر الإداري للدولة المهدية التي نشأت في نهاية القرن التاسع عشر، ولم تدم طويلًا.

وتبدأ أهمية هذا المتحف بالمبنى نفسه، الذي يعد واحدًا من آخر الهياكل التقليدية وأفضلها حفظًا في



عصره، وتضمنت مجموعته أشياء من الحكومة المهدية، مثل واحدة من آخر ثماني وحدات من أول مركبة صالحة لجميع التضاريس في العالم، وهي سيارة آرول جونستون.

ويقع بيت خليفة في منطقة شهدت اشتباكات عنيفة واحتلت قوات الدعم السريع إحدى غرفه على الأقل وضريح الهدي الجاور، وذلك وفقًا لمنظمة التراث من أجل السلام. لذلك من المتوقع أن يتعرض الموقعان لأضرار جسيمة. كما أفاد الصحفي السوداني مهند هاشم أن قوات الدعم السريع نهبت المتحف.

ندرة المعلومات

يُعتقد أن الأضرار والخسائر قد لحقت العديد من المعالم الأخرى في العاصمة، لكن الخبراء قالوا لموقع "ميدل إيست آي" إن عملية تجميع المعلومات تعرقلت بشدة بسبب النزوح الكبير لسكانها وصعوبة الوصول إلى العديد من المناطق المنكوبة بالعنف.

واعترفت غالية جار النبي، نائبة المدير العام للهيئة العامة للآثار والتاحف، قائلة: "نحن نعلم أن المتاحف معرضة للخطر بسبب النزاع المسلح وأعمال العنف". وأعربت عن أسفها قائلة: "في الخرطوم ليس للدينا أي أخبار عن مجموعاتنا، لأن النطقة بأكملها باتت ساحة معركة ومن المستحيل أن يخاطر أي شخص بالذهاب إلى هناك وإجراء تقييم دقيق للخسائر والأضرار".

وهناك عقبة أخرى تتمثل في الافتقار إلى رقمنة التراث السوداني، الأمر الذي يشكل حاليا تحديًا إضافيًا في تقييم الخسائر.

وقال إسبر صابرين، الرئيس والمؤسس المشارك لمنظمة التراث من أجل السلام، إنه "لا تزال هذه مشكلة كبيرة، ويجب حلها قبل أن يصبح الوضع كارثيًا تمامًا"، فيما قال بشير، من جامعة الخرطوم، إن تدمير البنية التحتية الحيوية يشكل عقبات إضافية أمام الحفاظ على الآثار، ويرجع ذلك أساسًا إلى نقص الكهرباء.

وخارج ولاية الخرطوم؛ كانت منطقة دارفور الغربية المنطقة الأكثر تضررًا من الحرب، فهي العقل التقليدي لقوات الدعم السريع والجزء من البلاد الذي تم فيه توثيق أسوأ الفظائع وأكثرها اتساعًا، مما أثر أيضا على تراثها.

ويُذكر أنه أعيد افتتاح متحف جنوب دارفور، في عاصمة الولاية نيالا، سنة 2018 بعد تجديده، ويضم مجموعة من القطع الأثرية من جميع أنحاء البلاد، ومجموعة إثنوغرافية تبرع بها الجتمع الحلى، ومجموعة من الصور التاريخية.

ومع ذلك، حذرت منظمة التراث من أجل السلام، من أن المتحف يقع بالقرب من موقع عسكري، وأبلغت عن وقوع أضرار في المبنى الرئيسي والمستودع وسقف غرفة التخزين.



ويحظّى هذا المتحف بأهمية خاصة لأنه واحد من ثلاثة متاحف إقليمية في السودان تم تجديدها مؤخرًا في مناطق عانت من عقود من الإهمال والصراع. وكان الهدف هو تحويل المتحف – إلى جانب متحفين آخرين في أم درمان والأبيض في شمال كردفان – إلى متاحف مجتمعية ومراكز ثقافية.

ويوجد في الجنينة، عاصمة غرب دارفور، متحف مهم آخر تم إنشاؤه في القصر السابق لسلطان مجتمع الساليت المحلي، ويعرض مجموعة من العناصر المهة للثقافة المحلية وتاريخ المنطقة؛ إلا أن وضعه الحالي غير مؤكد، لكن الجنينة عانت من دمار واسع النطاق على يد قوات الدعم السريع والميليشيات المتحالفة معها، ويخشى أن يكون المتحف قد تعرض أيضًا للتدمير والنهب، وكلاهما حدث بالفعل في السنوات القليلة الماضية.

وحذرت المجموعات العنية بالحفاظ على التراث السوداني من أن التاحف الأخرى في جميع أنحاء البلاد معرضة للخطر إما لأنها تقع بالقرب من البنية التحتية الضعيفة أو بسبب مشاكل الصيانة التي قد تؤدي إلى خسائر فادحة وسط الحرب، ومن بينها المتحف الموجود في عاصمة ولاية الجزيرة، ودمدني، ومتحف شيكان في مدينة الأبيض (شمال كردفان)، وهو جزء من شبكة التاحف المجتمعية.

وقالت غالية جار النبي إنه من أجل تجنب الزيد من الخسائر، قام مسؤولو الهيئة العامة للآثار والمتاحف، بالتعاون مع المؤسسات الدولية، بمهام لإخلاء القطع الأثرية من المتاحف المعرضة للخطر؛ حيث تم حتى الآن إخلاء متحفين: أحدهما في سنار، والذي تم تخزين مجموعاته في مكان آمن في شباط/ فبراير، والآخر في مروي والذي تم إخلاؤه في حزيران/ يونيو الماضي.

وقالت إخلاص عبد اللطيف، أمينة أمانة المتاحف السودانية، إن المتحف في ودمدني تم إخلاؤه أيضًا عندما احتلت قوات الدعم السريع المنطقة في كانون الأول/ ديسمبر، مشيرة إلى أن الفرق تعمل على تأمين القطع الأثرية من متاحف أخرى أيضًا، بما في ذلك موقعين أثريين يقعان في الولاية الشمالية.

كنوز هائلة في خطر

في الوقت نفسه، يظل مصير سجلات المحفوظات ذات القيمة التاريخية العظيمة غير مؤكد. ومن بينها؛ تبرز اثنتان: مكتب السجلات الوطنية، الذي يعمل بمثابة الأرشيف الوطني ويضم أكثر من 30 مليون وثيقة يعود تاريخ أقدمها إلى سنة 1504، وتلك التابعة للهيئة الوطنية للإذاعة والتلفزيون، التي تضم واحدًا من أكبر أرشيفات الأفلام في أفريقيا.

ورغم عدم صدور أي تقارير لتقييم حالتهم حتى الآن؛ إلا أن وجود بعض هذه الأرشيفات – بما في ذلك الأرشيفان الذكوران – في المناطق الوسطى من الخرطوم، حيث وقعت اشتباكات عنيفة؛ ينذر بأضرار جسيمة.

ووثقت وزارة التعليم العالي السودانية خسائر مادية؛ حيث سجلت أضرارًا كاملة أو جزئية – بما في



ذلك الحرائق والنهب – في أكثر من 100 مؤسسة في ولاية الخرطوم وحدها، وفقًا لبيان صدر الصيف الماضي. وتشمل هذه الأضرار المؤسسات التاريخية مثل جامعة الخرطوم، أقدم وأكبر جامعة في السودان، والتي تأسست في مطلع القرن العشرين وأصبحت عامة بعد الاستقلال في سنة 1956.

وتأثرت أيضًا المكتبات الجامعية التي تضم آلاف الكتب، كما ظهرت صور تظهر الدمار الواسع النطاق الذي لحق بالجامعات في زالنجي، عاصمة وسط دارفور، ونيالا والجنينة، وفقًا لمنظمة التراث من أجل السلام.

وتضم جامعة الخرطوم متحفًا للتاريخ الطبيعي، أنشئ سنة 1929، والذي تعرض لأضرار كبيرة في مبناه الرئيسي خلال الأيام الأولى بعد اندلاع الحرب، وفقًا لصور الأقمار الصناعية التي استعرضها مختبر رصد التراث الثقافي.

علاوة على ذلك؛ كان السودان معروفًا بأنه بلد غني بالجموعات الخاصة وورش العمل والعارض. لكن من الصعب تقييم الخسائر في هذه الأماكن مع احتدام القتال.

وتشعر مجموعات الراقبة والسلطات أيضًا بالقلق بشأن الواقع الأثرية في ولايات الشمال وولايات نهر النيل، التي لا يوجد بها أمن يذكر وتتعرض للنهب، كما لجأ إليها النازحون بسبب الحرب.

وأشار إسبر صابرين، من منظمة التراث من أجل السلام، إلى أنهم ركزوا حتى الآن على رفع مستوى الوعي بأهمية التراث الوطني السوداني، وتأطير خسائره كجريمة حرب أخرى، لكنه قال إنهم يستعدون أيضًا لإطلاق مشاريع لتدريب الوظفين الحليين على توثيق أكبر قدر ممكن من التراث من أجل الحفاظ على سيطرة أكبر على القطع الأثرية القيمة.

وبالنسبة لرينان ليموس، عالم الآثار الذي يعمل في جامعة كامبريدج والذي كان في بعثات إلى السودان منذ سنة 2008 وشارك في مشروع في المتحف الوطني عندما بدأت الحرب؛ فإن فقدان التراث في البلاد هو خسارة سيشعر بها العالم كله؛ حيث قال إن "السودان مكان مهم بالنسبة لنا ليس لفهم مصر القديمة نفسها، ووادي النيل القديم فقط، ولكن أيضًا علاقاتهم بإفريقيا. الأمر لا يتعلق فقط بالحفاظ على تاريخ السودان آمنًا، بل للبشرية جمعاء، إنه مكان مهم لتاريخ البشرية".

ويأمل بشير، من جامعة الخرطوم، أن يؤدي الستوى الحالي من الدمار على الأقل إلى تسليط الضوء على اشير، من جامعة الخرطوم، أن يؤدي الستوى الحالى من العنف، مضيفًا إن "الدولة في السودان لم تهتم للأسف بالآثار والتراث. لقد تجاهلوا التراث السوداني لفترة طويلة. ولكي نكون أمة موحدة، يجب أن نعتني بآثارنا وتراثنا بعد هذه الحرب. إنها مصدر للمعلومات، ومصدر للهوية".

الصدر: <u>ميدل إيست آي</u>

رابط القال : https://www.noonpost.com/224734/